دروس للتقوية

مراجعة المعمودية

تأليف: دڤيد روپر

كرز يوحنا بمعمودية التوبة (متى ٣: ٢) لمغفرة الخطايا (مرقس ١: ٤؛ لوقا ٣: ٣). مع أن الأناجيل {الأربعة} لا تذكر بان أتباعه أمنوا أو تابوا، إلا انه أُبلغ عنهم بانهم اعتمدوا (متى ٣: ٦؛ مرقس ١: ٥؛ لوقا ٣: ٢١؛ يوحنا ٣: ٢٣؛ ٤: ١). فلا بد أن نستخلص من الحقيقة انهم اعتمدوا بانهم آمنوا برسالته وتابوا. لم يُذكر في أي مكان بان يوحنا طلب من الناس أن يعترفوا بخطاياهم، ولكنهم فعلوا كذلك (متى ٣: ٦).

خضع يسوع للمعودية التي كرز بها يوحنا (متى ٣: ١٣-١٧). شهد يوحنا بان يسوع صار معروفاً عند المعمودية (يوحنا ١: ٣١). ربما كان يوحنا الرسول يشير إلى معمودية يسوع في هذه العبارات: «هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم ...»؛ «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلثة: الآب والكلمة والروح القدس » (١ يوحنا ٥: ٦-٨).

ربما أتى يسوع بأناس أكثر إلى المعمودية مما فعل يوحنا المعمدان (يوحنا ٣: ٢٢ و٢٦؛ ٤: ١). تقول الأناجيل بان هؤلاء الناس اعتمدوا، ولكننا لا نجد نصاً يوضح بانهم آمنوا أو تابوا أو اعترفوا. هل نستخلص بانهم لم يفعلوا أي من هذه الأشياء {الثلاثة} لمجرد انها لم تُذكر بالتحديد؟ كيف نقلل من أهمية المعمودية إذ تم ذكرها ولم تُذكر الأشياء الآخرى؟

لا نستطيع التأكيد بثقة تامة أن الرسل كانوا قد اعتمدوا، ولكن المفهوم الضمني هو انهم اعتمدوا. قد اعتمد الذين صاروا تلاميذ يوحنا وتلاميذ يسوع (يوحنا ٤: ١). اختار يسوع رسله من بين تلاميذه (لوقا ٦: ١٣)، مما يدل على انه اختار الرجال الذين اعتمدوا ليصيروا تلاميذه.

المعمودية في سفر أعمال الرسل

في بعض الحالات في سفر أعمال الرسل أُخبر بان الناس أمنوا واعتمدوا، بينما لم يُذكر شيء عن توبتهم أو اعترافهم (إلا في حالة الخصي الحبشي). ذُكر الإيمان إلى جانب المعمودية (أعمال ٨: ١٢؛ ١٨: ٨)؛ ولكن تم ذكر التوبة مع المعمودية مرة واحدة فقط (أعمال ٢: ٣٨)، ولم يُذكر الاعتراف معها. لا توجد عبارة في سفر أعمال الرسل تدل على أنه قيل للناس أن يعترفوا. طبعاً بكل تأكيد تكون التوبة والاعتراف متضمنان عند ذكر الإيمان وحده أو المعمودية وحدها. لا بد أن هذا يشير إلى أن المعمودية موجودة ضمناً أيضاً عند وجود كلمة «إيمان» - أو أن الإيمان يكون موجود ضمناً عند ذكر المعمودية وحدها.

إذا كان الشخص لا يستطيع أن يخلص بدون التوبة والاعتراف فلماذا لم يتم ذكرهما في كل مرة استجاب فيها الناس للتعليم عن يسوع بدلاً من المعمودية؟ إن لم تكن المعمودية ضرورية للخلاص، فلماذا ذُكرت بالتكرار بينما لم يتم ذكر التوبة والاعتراف (اللذان تعتبرهما معظم الطوائف بانهما ضروريان للخلاص)؟

يمكن عمل المقارنات الآتية من سفر أعمال الرسل.

أ. عدد المرات التي قيل فيها لغير المسيحيين أن يفعلوا ما يلي:

١. أن يؤمنوا - ثلاث مرات (أعمال ٨: ٣٧؛ ١٠: ٤٣؛ ١٦: ٣١).
٢. أن يتوبوا - ثلاث مرات (أعمال ٣: ١٩؛ ١٧: ٣٠؛ ٢٦: ٢٠).

أن يتوبوا ويؤمنوا - صفر

أن يتوبوا ويعتمدوا - مرة واحدة

(أعمال ٢: ٣٨).
٣. أن يعتمدوا – ثلاث مرات (أعمال ٢: ٣٨؛ ١٠: ٤٨؛ ٢٢: ١٦).أن يعتمدوا ويتوبوا – مرة واحدة (أعمال ٢: ٣٨). أن يعتمدوا ويعترفوا – صفر.
٤. أن يعترفوا – صفر.

ب. عدد الاستجابات الفورية التي أبلغ عنها لوقا:
١. آمنوا / آمن – اثنتي عشرة مرة (أعمال ٤: ٤؛ ٨: ١٢ و١٣؛ ٩: ٤٢؛ ١١: ١٧ و٢١؛ ١٣: ١٢؛ ١٣: ٤٨؛ ١٤: ١؛ ١٧: ١٢ و٣٤؛ ١٨: ٨).
٢. اعتمد/اعتمدوا – تسع مرات (أعمال ٢: ٤١؛ ٨: ١٢ ، ١٣ ، ٣٨؛ ٩: ١٨؛ ١٦: ١٥ و٣٣؛ ١٨: ٨؛ ١٩: ٥).
٣. تاب/تابوا – صفر.
٤. اعترفوا – مرة واحدة (أعمال ٨: ٣٧).
٥. آمنوا واعتمدوا – ثلاث مرات (أعمال ٨: ١٢ و١٣؛ ١٨: ٨).
٦. تابوا واعتمدوا – صفر.
٧. تابوا واعترفوا – صفر.

ت. عدد المرات التي أبلغ عنها لوقا الإستجابات التالية من قبل الذين أطاعوا الإنجيل:
١. أمنوا – ثلاث عشر مرة (أعمال ٢: ٤٤؛ ٤: ٣٢؛ ١١: ١٧؛ ١٤: ٢٣؛ ١٥: ٥؛ ١٦: ١ و٣٤؛ ١٨: ٢٧؛ ١٩: ٢ و١٨؛ ٢١: ٢٠ و٢٥؛ ٢٢: ١٩).
٢. اعتمدوا – مرة واحدة (أعمال ٨: ١٦).
٣. تابوا – صفر.
٤. اعترفوا – صفر.

من المقارنات اعلاه يتضح أنه قد تم ذكر الإيمان والمعمودية في سفر أعمال الرسل أكثر من ذكر التوبة والاعتراف. عند الحديث عن الذين صاروا مسيحيين يقول سفر أعمال الرسل عادة بانهم آمنوا أو آمنوا واعتمدوا؛ ولكن لا يوجد نصاً يقول بانهم تابوا أو اعترفوا.

المعمودية في رسائل بولس

ذكر بولس معمودية العهد الجديد في معظم رسائله إلى الكنائس (رومية ٦: ٣ و٤؛ ١ كورنثوس ١: ١٣–١٧؛ ١٢: ١٣؛ غلاطية ٣: ٢٧؛ أفسس ٤: ٥؛ كولوسي ٢: ١٢). وقد شجع الأعضاء على الاستمرار في تكريسهم ليسوع كنتيجة طبيعية للمعمودية {التي نالوها}. ربط بولس المعمودية ببداية الحياة الجديدة (رومية ٦: ٤؛ كولوسي ٢: ١٢ و١٣)، وغفران الخطايا (كولوسي ٢: ١٣)، ولبس المسيح (غلاطية ٣: ٢٧)، ووحدانية المؤمنين (١ كورنثوس ١٢: ١٣؛ غلاطية ٣: ٢٧ و٢٨؛ أفسس ٤: ١–٦). ذكر بولس المعمودية ولكنه لم يقل شيئاً عن الإيمان أو التوبة أو الاعتراف في علاقة معها. ربما لمح إلى المعمودية في نصوص أخرى (أفسس ٥: ٢٦؛ تيطس ٣: ٥).

المعمودية في رسائل بطرس

ذكر بطرس كلمة «يؤمن» أربع مرات (١ بطرس ١: ٨ و٢١؛ ٢: ٦ و٧) وإيمان سبع مرات (١ بطرس ١: ٥ ، ٧ ، ٩ ، ٢١؛ ٥: ٩؛ ٢ بطرس ١: ١ و٥) ولكن مرة واحدة فقط في علاقة مع الخلاص (١ بطرس ١: ٩). وتحدث عن التوبة مرة واحدة (٢ بطرس ٣: ٩) حيث قال فيها بان الله يستحقها من جميع الناس. لم يذكر بطرس الاعتراف أبداً.

قارن بطرس انقاذ نوح وأهل بيته بخلاصنا:

> ... كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يبنى الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء. الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية. لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١ بطرس ٣: ٢٠ و٢١).

الخلاصة

أول من علم المعمودية هو يوحنا {المعمدان} ثم يسوع، وبعدهما الرسل والكنيسة المبكرة. بعد موت يسوع على الصليب، تم اعتماد الذين تعلموا الإنجيل وآمنوا بيسوع وتابوا عن خطاياهم، وكانوا يطلبون علاقة جديدة مع الله وحياة جديدة. كانت المعمودية تُعتبر النقطة التي فيها يتم تغيير العلاقة السيئة مع الله إلى علاقة

جيدة بدم يسوع، واللحظة التي فيها تبدأ الحياة الجديدة.

الماء في خطة الله للخلاص

الماء شيء ضروري للحياة. يؤمن العلماء بان الحياة كما نعرفها على الأرض لا يكون لها وجود من غير الماء. قد اختار الله الماء في كثير من الحالات ليتمم قصده. في البدء عندما خلق الله كل شيء كانت « الأرض بكلمة الله قائمة من الماء وبالماء » (٢ بطرس ٣: ٥). أصبحت الحياة ممكنة على الأرض بعد ما تكونت الأرض من الماء. ابقى الماء (تكوين ٢: ٦) ويستمر بابقاء جميع أشكال الحياة الطبيعية على الأرض.

وصل نوح إلى بر الآمان بالماء (١ بطرس ٣: ٢٠). بعد ما بنى نوح الفلك، كان من الضرورة أن يكون هناك ماء ليحمل نوح وأسرته إلى بر الآمان وينقذهم من الهلاك. لو كان الله قد أرسل ناراً عوضاً عن الماء لأحرقوا جميعاً. كان الماء ضرورياً لحفظ حياة البشر في الفلك عندما أرسل الله الطوفان.

مر أبناء إسرائيل بالماء إلى بر الآمان عندما هربوا من جيش المصريين. هلك جيش فرعون بالماء (خروج ١٤: ٢٦-٢٩). نقرأ في خروج ١٤: ٣٠ ما يلي: « فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ... ». في وقت لاحق في العهد الجديد كتب بولس: « وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر » (١ كورنثوس ١٠: ٢). قد يستنتج البعض من هذه الآية بان المعمودية هي بالرش. يظنون بان السحابة رشت ماء على الإسرائيليين عند مرورهم بالبحر. لو كان هذا صحيحاً لم يكن إسرائيل قد مر « على اليابسة » (خروج ١٤: ٢٢). بالحقيقة، السحابة التي أتى بها الله لإسرائيل لم تكن سحابة ماء بل سحابة دخان. كان ذلك « سحابة نهاراً ودخاناً ولمعان نار ملتهبة ليلاً » (إشعياء ٤: ٥).

في ما بعد مر إسرائيل بالماء لكي يدخل أرض الميعاد (يشوع ٣: ١٤-١٧). بمرورهم من خلال الماء وصل الشعب إلى البركات التي وعدهم بها الله.

وقف الماء بين نُعمان وتطهيره من البرص (٢ ملوك ٥: ١-١٤). أُستُخدم الماء لشفاء الرجل الأعمى الذي جاء إلى يسوع (يوحنا ٩: ٦ و٧).

حتى مقومات الحياة السماوية رُمز إليها بنهر من الماء ينبع من عرش الله (رؤيا ٢٢: ١). تأتي الكثير من بركات الله بما فيها الحياة نفسها بالماء. لم يكن صدفة أن الله اختار الماء كشيء ضروري للذين يطلبون الخلاص بيسوع (١ بطرس ٣: ٢١). كما انه بمفهوم المقارنة تعتمد الحياة الطبيعية على الدم (تكوين ٩: ٤) وتعتمد الحياة الروحية على دم يسوع (عبرانيين ٩: ٢٢)، هكذا أيضاً يكون الماء ضرورياً للحياة الطبيعية و أيضاً للحياة الروحية الجديدة (رومية ٦: ٤) في المسيح.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧